

حتمية التجسد الالهي وهل له بديل

بقلم/ باتريشيا م.



Published 25/11/2008

www.coptic-apologetics.com

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

من اكثر العقائد التي تعرضت للهجوم والتساؤلات من الذين يجهلون لها هي حتمية التجسد الالهي فقد يتساءل البعض ان كان السبب الرئيسي للتجسد هو فداء الانسان الذي سقط ، وتجديد طبيعته التي فسدت فلماذا خلق الله الانسان من الاساس وهو بسابق علمه يعرف ان الانسان سوف يسقط وتفسد طبيعته؟ ولماذا اعطاه الوصية التي اعتبرها البعض انها كانت طريقا للموت على حد تعبيراتهم؟ وان كان الذي اخطأ هو آدم وحواء فما ذنب الابناء في توارث الخطية؟ اين العدل الالهي في ذلك؟ ولماذا لم يفكر الله في بديل اخر للخلاص غير رحلة التجسد والصليب؟ وهل ممكن ان يحل هذا البديل مشكلة سقوط الانسان ؟ عشرات وعشرات الاسئلة تتعرض لها عقيدة التجسد الالهي .

دعونا بنعمة المسيح نتطرق الى بعض الاسئلة ونجيب عليها ونساعد الغير على فهم عقيدتنا التي يقوم عليها ايماننا المسيحي الحيّ فما تسلمناه نسلّمه ولا نقدر ان نزيد عليه، ولا نستطيع ان نحذف منه وارجو ان تذكروني في صلواتكم واطلب من الرب الاستفادة لكل من يقرأ هذا الموضوع.

باتريشيا

السؤال الاول : ان كان السبب الرئيسي للتجسد هو فداء الانسان الذي سقط وتجديد طبيعته التي فسدت ، فلماذا خلق الله الانسان من البداية؟

يسبق هذا السؤال سؤال اخر مؤداه: هل خلق الله الانسان لكيما يعبده ويسبحه ويمجده؟

كلّ لان كل هذه نتائج وليست اسبابا... لقد خلقنا الله فنحن مدينون له ولذلك نقدم له العبادة والشكر والتسبيح، ليست كفروض وقيود وواجبات ثقيلة ، ولكنها علامة حب وامتنان وتقدير له... لو خلق الله الانسان لكيما يعبده فمعنى هذا ان الله كان ينقصه عبادة الانسان بينما الله كامل في ذاته متكامل في صفاته منزّه عن النقص ... لم يكن الله محتاجا قط لانسان او ملاك لكيما يعبده ... الله لم يكن يعاني من نقص معين فعوضه بخلقة الانسان، ونحن نصلي في القديس الالهي "خلقتني كمحب للبشر لم تكن انت محتاجا الى عبوديتي بل انا المحتاج الى ربوبيتك.

كان من الممكن ان لا يخلق الله اي كائن اخر ومع ذلك فان كماله لن ينقص ولا سعادته تتغير وليس كما تصوّر بعض الجهلة بان السأم والملل تسلب الله عبر الزمان فتسلب بخلقة الطغتمات الملاكية لكيما تسبحه و عندما عاد اليه الملل والسأم ثانية خلق الانسان لكيما يعبد.

الحقيقة ان الله خلق الانسان من فرط جوده ومحبته، فالانسان هو وليد محبة الله العظيمة ... خلق الله الانسان لكيما يتمتع ذاك الانسان بنعمة الوجود في الحضرة الالهية ، وقبل ان يخلقه اعد له كل شيء... خلق من اجله الشمس والقمر والنجوم وهيا له الارض وخلق له النباتات وزينها بالازهار وخلق له الاسماك والطيور والحيوانات انواعا واشكالا ، ورأى الله ان كل هذه حسن، وعندما خلق الانسان ميّزه عن سائر الخليقة اذ خلقه على صورته ومثاله في الوجود والعقل والحياة... خلقه على الصورة التي سيتخذها لنفسه في ملء الزمان... **نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا (تكوين الاصحاح الاول والعدد ٢٦)...** وكلمة "صورة بالعبرية" - صليم - اي الظل او الخيال، فالانسان هو ظل الله على الارض. وكلمة "شبه" بالعبرية _ ديموت _ اي دمية او مثال ... فالانسان مثال الله في الابتكار وحرية الارادة والسلطة الخ... وعندما خلق الله الانسان قال " **حسن جدا**" (**تكوين الاصحاح الاول والعدد ٣١**) وميّزه بان نفخ في انفه نسمة حياة فاستقرت هذه النسمة في وجدان الانسان وهي التي تدفعه للسعي نحو الاصل حتى بعد السقوط .

السؤال الثاني: ما دام الله يعلم بسابق علمه ان آدم سيعصاه ويسقط في الخطية... فلماذا خلقه؟

بنعمة المسيح نقول بان الله بسابق علمه يعلم ان آدم سيعصاه ويخطيء ، ولكنه يعلم ايضا انه قد دبر له امر الفداء منذ الازل، ويحوّل الشر الذي تعرض له الى خير، وانه سيرده ليس الى مرتبته فقط وانما سيرفعه من الفردوس الارضي الى الملكوت السمائي، وهذا ما دفع القديس اغسطينوس الى القول " مباركة هي خطية آدم التي جلبت لجنسنا كل هذا الخير وكل هذه النعم والبركات".

وكمثال تبسيطي للرد على التساؤل السابق نقول ان الانسان يعلم انه عندما يتزوج وينجب سيتعرض ابناؤه الى بعض الامراض والمتاعب في حياتهم فهل هذا يدفعه للعزوف عن الزواج؟ كلاً، لانه يعلم ايضا انه متى تعرض ابناؤه للمرض فانه سيسرع بهم الى الاطباء لعلاجهم، ومتى تعرضوا للمتاعب فانه سيقف بجوارهم حتى يتخطوا هذه المتاعب فكم بالحري الهنا السماوي الذي لديه فيض من العواطف الابوية تكفي بلايين البشر.

السؤال الثالث: لماذا الوصية التي كانت سببا للسقوط؟ ولماذا خلق الله الشجرة ومنع آدم من الاكل منها؟ ولماذا هذا الامتحان الصعب؟

الحقيقة ان الوصية الالهية لآدم لم تكن سببا لسقوطه انما جاء السقوط بسبب غواية الحية وحسد ابليس " والموت الذي دخل الى العالم بحسد ابليس... (من القديس الالهي) وايضا في شك الانسان في كلام الله، وتصديقه لكلام ابليس، وكان عمل ابليس هذا موجها بالدرجة الاولى ضد الله، فهو يعلم انه لو نجح في اسقاط الانسان في المخالفة فلا بد ان الانسان سيسقط تحت حكم العدل الالهي وينال عقوبة الموت، كما اخطأ هو وطرد وبذلك يفشل هدف الله من خلقه الانسان.

الوصية كانت بسيطة وسهلة " من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. اما شجرة معرفة الخير الشر فلا تأكل منها لانك يوم تأكل منها موتا تموت " (تكوين الاصحاح الثاني والعشرين السادس عشر والسابع عشر)... اذن الوصية لم تكن صعبة او مستحيل تنفيذها فجميع شجر الجنة كان تحت تصرفهما يأكلا كما يريدان ووقتما يريدان ، وهذه شجرة وحيدة وضعت بحكمة الهية وكان من السهل على الانسان ان يصرف النظر عنها ويتمتع بباقي الثمار الغير محرمة.

الحكمة من الوصية هو منح الانسان الفرصة للتعبير عن حبه لله وطاعته له، ليس عن قهر واضطرار بل بروح الحب والحرية... انها احترام لارادة الانسان الحرّة، بواسطتها يعبر الانسان

عن ارادته في الالتصاق بالله... لقد قدم الله الكثير والكثير ، فعندما يقدم آدم الطاعة البسيطة لله فهي بمثابة ذبيحة لذيذة يقدمها المخلوق للخالق فيشتم الله الخالق هذه الذبيحة ويستثمنها.

ويجب ان يلاحظ ان الله لم يقل لآدم " يوم تأكل من الشجرة سأميتك " انما قال له "يوم تأكل من الشجرة موتا تموت" اي انك تسلم نفسك بارادتك للموت، لان المعصية تحمل بذار الموت في طياتها، اذن يمكننا ان نقول انه كان من العدل وليس ظلما ابدا ان يمتحن الله الانسان، فاذا نجح يكافئه واذا فشل يعاقبه، ثم لماذا كل هذا الاحتجاج على الوصية وكأنهم يريدون اتهام الله بالظلم وهو الذي حول لنا العقوبة خلاصا.

السؤال الرابع: هل سقوط آدم يعتبر سقوط للبشرية جمعاء؟

بالخطية فسدت طبيعة ادم، كل ذرة في جسد آدم اصبحت فاسدة، مثل شجرة التفاح التي اصابها مرض لعين فكل ثمارها اصبحت فاسدة، والشجرة الفاسدة تحمل بذارا فاسدة، ولو زرعت لن تنبت الا شجرة فاسدة تحمل بالتبعية ثمارا فاسدة... وهلم جرا. لقد ورث الابناء عن ابيهم الطبيعة الفاسدة المملوءة بالغرائز البهيمية وجرى الدم الموبوء بالخطية في عروق جميع بني البشر " ها آنذا بالآثام حبل بي وبالخطية ولدتني امي" (المزمور الواحد والخمسون والعدد ٥).

والدليل على توارث الخطية ان الخطية جاءت الى حواء من الخارج اي من الحية، وجاءت الى آدم من حواء التي سبقته في السقوط، لكن قايين من اين جاءته الخطية؟ انها اتت من داخله، لم يدفعه احد لها بل هي ساكنة فيه، وهكذا سقط الجميع حتى الانبياء "الجميع زاغوا وفسدوا معا ليس من يعمل الصلاح ليس ولا واحد" (رومية الاصحاح الثالث والعدد الثاني عشر).

صحيح اننا لم نرتكب الخطية الاولى ولكننا ولدنا بها بالاضافة الى خطايانا الشخصية، فليس مولود امرأة بلا خطية اذا وراثته الخطية امر واقع .

وفي هذا يقول القديس اثناسيوس " لأن البشر لم يقفوا عند حد معين حتى في سوء افعالهم، بل تدرجوا في الشر حتى تخطوا كل حدود، واصبحوا يخترعون الشر ويتفننون فيه، الى ان جلبوا على انفسهم الموت والفساد، وبعد ذلك توغلوا في الرذيلة، ولم يقفوا عند شر واحد، بل راحوا يخترعون كل جديد من الشر، فقد اصبحت طبيعتهم مشبعة من الخطية. فما هي خطايا الزنى والسرقه قد عمت كل مكان، وامتلات كل الارض بخطايا القتل والنهب، واصبح البشر لا يراعون حرمة للناموس، بل صاروا يرتكبون الجرائم في كل مكان، سواء كأفراد او جماعات... وصار كل انسان يتنافس مع اقاربه في الاعمال القبيحة، واصبحوا لا يترفعون حتى عن الجرائم التي ضد الطبيعة".

وكما انه لا يمكن ان نجني من الشوك تينا ولا من الحسك عنبا، وكما ان الخنزيرة لا يمكن ان تلد حملا، يقول عوض سمعان " ولا يقل احد ان الانسان يولد بريئا ولكن البيئة التي يعيش فيها هي التي تزرع فيه الشر، لان حتى الاطفال الذين يولدون في بيئة صالحة يصاحب في كثير من الاحيان تصرفاتهم الفساد والكبرياء والانانية والغيرة الخ... وجميع هذه النقصان هي خطايا، وحتى الذين يولدون في الغابات بعيدا عن المدينة فانهم لا يخلون من المكر والانانية حتى ابدى البعض بعض الملاحظات التي يجب ان تؤخذ في الحسبان فقالوا ان الانسان يولد وبه ميل الى الخطية وهذا الميل وان كان لا يبدو بوضوح في الصغر، غير انه يأخذ في الظهور كلما شب الانسان ونما.

مثل هذا الميل مثل السم الكامن في الثعبان، فانه لا يرد اليه من الخارج، بل ان الثعبان يولد وفي جسمه استعداد لتكوينه. وكل ما في الامر، ان هذا السم لا يظهر بنتائجه المميتة الا اذا بلغ الثعبان سنًا معينًا... ان الذين قالوا ونادوا بسلامة الفطرة الانسانية وكمالها، وبذلوا كل ما لديهم من جهد لتحسين حالة الفقراء والبؤساء، لاقوا من اولئك وهؤلاء الكثير من المتاعب والمضايقات ومن ثم خابت امالهم الطيبة من جهتهم جميعا خيبة ليس بعدها خيبة.

وقد يتساءل البعض كيف نقول ان البشر جميعا قد ورثوا الخطية وفسدت طبيعتهم بينما يوجد رجال ابرار صالحون في العهد القديم فقد قيل عن نوح " كان نوح رجلا بارا كاملا في اجياله" (تكوين الاصحاح السادس والعدد ٩) وقيل ايضا عن ايوب " كان هذا الرجل كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر" (ايوب الاصحاح الاول والعدد ١) وقيل ايضا عن زكريا واليسابات انهما " كانا كلاهما بارين امام الله" (لوقا الاصحاح الاول والعدد السادس).

ان الصلاح بمعناه الحقيقي ان الانسان لا يخطيء على الاطلاق لا بالفعل ولا بالقول ولا بالفكر وان يقوم بكل اعمال الخير على الاطلاق مثل هذا الصلاح لا يمكن ان نجده بين البشر على الاطلاق، ولذلك قال الرب يسوع " ليس احد صالحا الا واحد وهو الله" (لوقا الاصحاح الثامن عشر والعدد ١٩). اما رجال الله الصالحون فهم الذين فعلوا الصلاح النسبي وكانت خطاياهم قليلة وجاهدوا وقدموا عنها اعترافا وذبيحة فتغفر لهم على حساب دم المسيح.

وقد يتساءل البعض انه ما دام الانسان قد ورث الخطية وبالتالي اصبح لديه ميل طبيعي لها فهو غير مسؤول عن تصرفاته الخاطئة.

نقول لمثل هؤلاء ان غير المسؤولين عن تصرفاتهم هم الاطفال الذين لا يدركون الصبح من الخطأ وكذلك ذوي العاهات الخاصة الذين لا يملكون قوة التمييز بين الصبح والخطأ. اما الانسان الذي ميّزه الله بالعقل الراجح ويعرف الخير من الشر فهو مسؤول مسؤولية كاملة عن جميع تصرفاته لانه فعلها بكامل حريته، واذا اشتكى من ضعف ارادته فالطريق الى تقويتها هو الالتصاق بالله والتماس القوة منه، وعندئذ يقول الضعيف بنعمة الله قوي انا.

السؤال الخامس: هل العدل الالهي يقاوص القاتل فقط ام انه يقاوصه هو و اولاده وذريته ؟ فما ذنبنا نحن في خطية آدم؟ وان كانت العدالة الارضية القاصرة لا تحكم على ابن القاتل بالاعدام فما بال السماء تحاسبنا على خطية آدم ؟

صحيح اننا لم نرتكب الخطية الاولى، ولكننا ولدنا بها بالاضافة الى خطايانا الشخصية، ومن يستطيع ان يتبرر امام الله من خطاياه ولو كانت حياته يوما واحدا على الارض؟ من المعروف حسب قانون مندل للوراثة ان العوامل الوراثية تمتد حتى الجد السابع، فمثلا نوع الشعر ولون العينين والطول والقصر ولون البشرة يرثها الانسان عن ابائه واجداده، ولم نر انسانا عاقلا يحتج على صفاته الوراثية بل قد يرث انسانا عن ابويه بعض الامراض مثل السكر وخلافه، فهل يحتج هذا الابن على ابيه الذي اورثه ذلك المرض؟ وماذا يفيد احتجاجه؟ اليس من الاجدى البحث عن العلاج والمواظبة عليه بشكر الله الذي بحكمة سمح بهذا المرض لخير الانسان؟

اذا السؤال الحكيم لا يكن ابدا بالصورة السابقة المحتجة انما يكون هكذا:

هل من علاج للخطية التي ولدنا بها ونعيش فيها؟

الاجابة: نعم، وبكل تأكيد هناك علاج اكيد في دم المسيح " فاذا كما بخطية واحد صار الحكم الى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة . لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا ايضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابرارا" (رومية الاصحاح الخامس والاعداد الثامن عشر والتاسع عشر). "اذا لاشيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع الساكنين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رومية الاصحاح الثامن والعدد الاول).

اذن فهو من الخطأ وعدم الحكمة ان يظل الانسان يتساءل ويقول : ما ذنبي في خطية ابي آدم؟ يرد عليه القديس اوغسطينوس قائلا: واي فضل لك في خلاص المسيح؟

لا بد ان نشير الى نقطة هامة في هذا السياق ان نتائج السقوط المروع للبشرية كان من ضمنها **تسلط الشيطان على الانسان** ، صار للشيطان سلطانا على آدم كما يقول الانجيل " **انتم عبيد لمن تطيعونه" (رومية الاصحاح السادس والعدد ١٦)** فاصبح آدم عبدا للشيطان وكما ان العبد ملكا لسيده ليس هو فقط ولكنه هو واولاده ايضا، هكذا صار آدم وجميع بنيه ملكا للشيطان، وقام الشيطان بهذه المهمة خير قيام، فوكل على كل واحد من نسل آدم روحا من الارواح الشيطانية يحثه على ارتكاب المعاصي والآثام، فلقد ملك الشيطان على جنس آدم ليس قهرا ولا جبرا ولا ظلما انما اقتناء لنفسه بالحيلة والمكر والدهاء، ونعيد القول ان الخطية سكنت في الانسان وأثرت على جميع جوانب حياته، وفسدت طبيعته بالكامل فعاش في خوف وقلق وتوتر واضطراب والم

ومرض بل قل انه عاش في الموت. بالسقوط فقد الانسان حياة القداسة والبراعة والطهارة والسمو والبساطة والسلطة، فاصبحت نظرته مادية جسدية ترابية، واثارت فيه غرائزه الطبيعية فأخذ يعاني من ضغوط الخطية من الداخل والمؤثرات الخارجية من الخارج، وصار عبدا للخطية يتردى فيها من سيء الى اسوأ، صار عبدا لاهوائه وشهواته، وبالسقوط فقد الصورة الالهية داخله فتمردت عليه الحيوانات والطبيعة وفقد سلامه مع الله ومع نفسه ومع الاخرين حتى انه شعر بالعداوة تجاه السماء واجتاحت حياته العزلة والانانية والقلق والقلقل والخصومات. بالسقوط دخلت المعرفة الشريرة الى الانسان ، فبعد ان كان لا يعرف الا الخير والصلاح اصبح يعرف الشر، وتحول الانسان من صورة الصلاح الى صورة الفساد"" ومن يقدر ان يجدد هذه الطبيعة الفاسدة؟

وقف الانسان عاجزا اما خطيته الغير محدودة ووقع تحت سلطان الموت الروحي والجسدي والادبي والابدي وصار عبدا لابليس السيد القاسي المتسلط فمن يخلصه من قبضة ابليس؟ وقف الانسان منكسر امام العدل الالهي ... فمن يستطيع ان يوفي العدل الالهي حقه؟ ... لا احد يقدر ان يصنع خلاصا هذا مقداره. فقط القادر على كل شيء هو الذي يقدر، وكم نشكره لانه ارتضى ان تكون قضيتنا قضيته.

اما الذي يحتج بان العدل الالهي لا يمكن ان يقاوم ابن القاتل عن خطية ابيه القاتل، وان معنى توارث الخطية ان الانسان يرث خطية ابيه وجدده وامه وجدته... فلمثل هذا نقول ان المشكلة اننا جميعا كنا في صلب آدم يوم ان اخطأ، وورثنا منه الخطية الجدية، وايضا الطبيعة الفاسدة التي تدفعنا للخطأ، ولذلك لم نرى انسان قط بدون خطية، وسواء هلك الانسان بخطيته الشخصية او بخطيته الشخصية والخطية المتوارثة، فالنتيجة واحدة وهي الهلاك الابدي والذي يحكم عليه بالموت.

بالعودة الى عنوان البحث، الم يكن هناك اي بديل اخر لرحلة التجسد والفداء التي دفع تكلفتها بالكامل الله العظيم المجدد في سماه ، دعونا نفترض عدة بدائل بحسب فكرنا الضيق ونرى هل تنفع وتصلح مثل هذا البدائل ان تكون بديل لعملية التجسد الالهي؟

الافتراض الاول: لما لم يفني الله آدم وحواء ويخلق انسانا جديدا بطبيعته؟

هذا البديل غير منطقي ومرفوض شكلا ومضمونا ولا يصلح لحل هذه القضية للاسباب التالية:

أ - لقد خلق الله هذا الانسان ليحيا الى الابد ، فعندما يجبر الشيطان الله على تغيير هدفه ويفني الانسان ، فهذا يعتبر انتصار للشيطان على الله، وما رأيك عندما يعمل الله عملا فيفسده الشيطان ولا يقدر الله على اصلاح هذا الفساد؟ الا يعتبر هذا تحدي لقدرة الله وكرامته وحكمته؟ وهل ممكن ان يثق الانسان بعد ذلك في اله لا يستطيع ان يصلح هذا الفساد ؟

ب - لو افترضنا جدلا ان الله افنى الانسان الذي خلقه على صورته ومثاله لانه سقط بغواية ابليس... الا يعتبر هذا قسوة واتهام صارخ ضد المحبة الالهية التي اوجدت الانسان من العدم؟ الم يكن من الافضل ان لا يخلق الله الانسان بدلا من ان يفنيه بعد خلقته؟ الا يعتبر افناء الانسان دليل على اليأس وقلة الحيلة لدى الله؟ وايهما اقوى العلاج بالقوة ام بالمحبة بينما استخدام المحبة لعلاج القضية دليل على القوة؟ وهل ننسى ان الله محبة ، وهو نبع المحبة والخير الغير المتناهي... فكيف تقصر محبة الله عن انقاذ الانسان محبوبه؟ هل خالق الكون يعجز ان يتولى ويحل مثل هذه القضية؟ يجب ان لا ننسى امرا هاما ان المسيحية تعلمنا ان الله من الانسان مكان الوالد الحنون ويرتبط بنا ارتباط المسؤول عنا ، وان الهنا المحبوب لا يتنازل عن ابوته حتى لو تنازل الانسان عن بنوته، وان الهنا غير مستعد لكي يدمر الانسان حتى لو انتهى الانسان الى حالة العطب وعدم النفع. تعز على الهنا الفتيلة المدخنة، فيتولاها ويرعاها الى ان تتحول الى سراج منير... كما لا يدفع بالقصبة المرضوضة الى النار، ولكنه يعالجها بلطفه الشديد الى ان تتحول الى شجرة كثيرة الثمن ممتدة الاغصان ووارفة الظل .

ج - افناء الانسان ضد صلاح الله : يقول القديس اثناسيوس " وكان ايضا امرا غير لائق ان الخليقة التي خلقت عاقلة... يصبح مصيرها الهلاك وترجع الى عدم الوجود بالفساد. لانه مما لا يتفق على صلاح الله ان تفنى خليقته بسبب الغواية التي ادخلها الشيطان على البشر. وبصفة خاصة كان غير لائق على الاطلاق ان تتلاشى صنعة الله بين البشر، اما بسبب اهمالهم، او بسبب غواية الارواح الشريرة. ولو كان مصير الخليقة العاقلة قد بات الى الهلاك، وصار مال هذه المصنوعات الى الفناء، فما الذي يفعله الله في صلاحه اذا؟"

د- عندما يخلق الله انسانا جديدا ... هل سيخلقه حرا وله حرية ارادة مثلما خلق سابقه؟ لو كان حرا فما ادراك ان لا يأتي الشيطان ثانياة ويسقطه بحيلة اخرى؟ ولا سيما انه محتال ويملك الف حيلة وحيلة؟

اذن افناء الله لادم وحواء وخلق انسان جديد يطيعه بديل وافترض غير صالح ومرفوض ولا يحل المشكلة وبذلك يسقط هذا الافتراض كبديل للتجسد الالهي.

الافتراض الثاني: لماذا لم يخلص الله آدم وحواء بالقوة؟ فمجرد كلمة منه قادرة على رد آدم وحواء اللذان سباهما الشيطان؟

هذا الحل ايضا لا يصلح للاسباب التالية:

أ - ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ولكن الشيطان لم يأخذ الانسان بالقوة... ولم يأخذ من ثمار الشجرة المحرمة، ولم يفتح فم حواء وأدم ويدفع الى فهمها الثمرة المحرمة. بل ان الشيطان في الاصل لا يقدر ان يسبى الانسان بالقوة، لان الانسان في حماية القدير طالما كان ملتزما بطاعته. انما الشيطان اسقط الانسان بالحيلة والمكر والدهاء والخداع والغواية. **" الحية غوتني فأكلت"** (تكوين الاصحاح الثالث والعدد ١٣) وكما ان الله كامل في قوته فهو كامل في عدله ايضا حتى مع الشيطان ، فلو ردّ الله الانسان بالقوة فان هذا يعتبر ضد عدل الله الكامل .

ب - الله خلق الانسان حر الارادة، فلذلك عودة الانسان لله لا بد ان تتم بكامل حريته و ارادته وربما يرده الله بالقوة فيقول آدم له : ومن قال لك انني اريد ان اسير معك... انا لا احب الطريق الكرب ولا الباب الضيق... اذن موضوع ان يتدخل الرب الاله تدخلا مباشرا وينتشل الانسان مما هو فيه عنوة وبالقوة هذا لا يتماشى مع عدالة الله وطهارته فلاجل ذلك يطيل الله اناته علينا لكيما نعود الى احضانه الابوة بكامل حريتنا و ارادتنا.

ج - عندما فسدت الطبيعة البشرية بالسقوط احتاجت للحياة لكيما تتحد بها وتطرد الفساد والموت من داخلها، وهذا الامر لا يحتاج لكلمة من الله، انما يحتاج للتجسد الالهي، يقول القديس اثناسيوس " ثم يجب ان نعلم ايضا، ان الفساد الذي حصل لم يكن خارج الجسد بل لصق به، وكان مطلوباً ان تلتصق به الحياة عوض الفساد، حتى كما تمكن الموت من الجسد، تتمكن منه الحياة ايضا.

الآن لو كان الموت خارج الجسد لكان من اللائق ان تتصل به الحياة من الخارج. اما وقد صار الموت ممتزجا بالجسد وساندا عليه ، كما لو كان متحدا به، فكان مطلوباً ان تمتزج الحياة ايضا، حتى اذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت، نزع عنه الفساد ، وفضلا عن هذا فلو افترضنا ان "الكلمة" جاء خارض الجسد وليس فيه، لكان الموت قد غلب منه (من المسيح) وفقا للطبيعة ، اذ ليس للموت سلطان على الحياة، اما الفساد اللاصق بالجسد فكان قد بقى فيه رغم ذلك. لهذا السبب كان معقولا جدا ان يلبس المخلص جسدا، حتى اذا ما اتحد الجسد بالحياة لا يبقى في الموت كماتت، بل يقوم الى عدم الوت اذ يلبس عدم الموت... لهذا لبس المسيح جسدا لكي يلتقي بالموت في الجسد ويبيده".

د - بالتجسد ردّ الله الضربة للشيطان بالفعل، فيقول القديس يعقوب السروجي " كما ان الشيطان دخل الحية وصرع الجنس البشري واماته، هكذا اراد الله ان يأخذ جسد الانسان ويختفي فيه ليقبض على الشيطان الحية القديمة ويهلكه" .

اذن استخدام القوة لكي يخلص الله ادم وحواء بديل وافترض غير مقبول ايضا ولا يحل المشكلة وبذلك يسقط هذا الافتراض كبديل للتجسد الالهي .

الافتراض الثالث : لقد اخطأ آدم رغم التحذير، فلماذا لم يتركه الله لمصيره المشؤوم وليكتف بان يعطه الناموس والوصايا؟

هذا الافتراض ايضا لا يصلح لعدة اسباب:

أ - ضد صلاح الله : فهذا الترك لا يليق بالله الكلي الصلاح، يقول البابا اثناسيوس الرسولي " اذا اسس ملك منزلا او مدينة واحدق بها اللصوص بسبب اهمال سكانها، فانه لا يهملها او يتغاضى عنها بأي حال، بل يقوم ويهتم وينتقم من العابثين بها لانها صنعة يديه غير مبال باهمال سكانها، عمل بما يليق بذاته . وهكذا الله ، كلمة الآب الكي الصلاح، لم يهمل الجنس البشري صنعة يديه ولم يتركه للفساد، بل ابطل الموت بتقديم جسده وعالج اهمالهم بتعاليمه، وردّ بسلطانه كل ما كان للانسان. وسؤال اخر يطرح نفسه : ايحتمل الله ان يرى الفساد يسود البشر، والموت ينشب اظافره فيهم وهو واقف ينظر من بعيد؟ اذا ما الفائدة من خلقهم منذ البدء؟ لانه كان خيرا لو لم يخلقهم من ان يخلقهم وثم يهملهم وبالنهاية يفنون. الاهمال لا يعلن صلاح الله بل ضعفه. فقد كان يعدّ امرا مشينا جدا ان يفنى المخلوق على مرأى ومسمع من الخالق وهو واقف عاجز لا يستطيع ان يرعى ويهتم بمخلوقاته. لهذا اصبح امرا محتما الا يترك الانسان لتيار الفساد، لان ذلك يعتبر عملا غير لائق ولا يتفق مع صلاح الله.

ب - ضد محبة الله : هل يمكن ان نتصور الله واقف موقف المتفرج من الانسان الذي هو وليد المحبة الالهية بل ينتظر حتى يمتلئ كاس خطايه فينقض ويصب جام غضبه عليه؟ هل يمكننا ان نتصور الله بهذه القسوة والجحود واللامبالاة؟ ليس هكذا الهنا ابدأ.

ج - ضد حكمة وذكاء الله : اذ كيف يقف الله عاجزا عن حل المشكلة التي اختلقها ابليس الذي اطاح بالانسان الى قاع الجحيم؟

اذا لم يكن الناموس كافيا لخلص الانسان، لانه ما جدوى النصائح و الوصايا للانسان الغارق في الخطية؟ يقول القديس يعقوب السروجي " اذا اردت ان تنقذ غريقا او تنهض انسانا مطروحا ، فلا ينفع ان تقدم له النصيحة. بل عليك ان تخلع ثيابك وتلبس ثياب البحر، وبعد ان تنزل تقيمه معك".

اذا كل ما يفعله الناموس انه يكشف الخطية ويعريها ولكنه لا يعالجها ولا يقضي عليها. الناموس يقول لهذا انت مقيد بالخطية، ويقول لذلك انت ملفوف باكفان الموت، ويقول لثالث لقد صرت ضليعا في فنون الشر متشبهها بابليس ولكن في كل هذا لا يقدر الناموس ان يفك الاسير، ولا يقدر ان يقيم الميت، ولا يقدر ان يرد الضال، ولا يقدر ان يقدر البلمس الشافي الذي قدمه السيد المسيح على عود الصليب.

اذن ترك الله لآدم ولمصيره المشؤوم والاكتفاء باعطائه الناموس والوصايا، بديل وافتراض غير صالح ومرفوض ولا يحل المشكلة وبذلك يسقط هذا الافتراض كبديل للتجسد الالهي .

الافتراض الرابع: الله غفور رحيم ... فلماذا لم يسامح آدم وتنتهي المشكلة؟

هذا الحل ايضا لا يصلح للأسباب التالية:

أ - الله كامل في رحمته وكامل ايضا في عدله، فلو سامح آدم فان هذا يتعارض مع عدله... لقد حذر الله آدم من الاكل من الشجرة، واعطاه كل مقومات عدم السقوط مثل الحكمة والشبع بخالقه والفرح الروحي، والاكل من جميع اشجار الجنة باستثناء هذه الشجرة فقط، فعندما يخطيء آدم ولا ينال العقوبة التي سبق أن فرضها الله عليه فان هذا يعتبر ضد العدل الالهي .

ب - لو ناقض الانسان نفسه وغير اقواله فان هذا يعتبر نوع من النقص... فكيف لو نقض الله اقواله وغير كلامه؟ **ليس الله انسان فيكذب . ولا ابن انسان فيندم. هل يقول ولا يفعل او يتكلم ولا يفى(عدد الاصحاح الثالث والعشرون والعدد ١٩) ، هل الله يعوج القضاء او القدير يعكس الحق (ايوب الاصحاح الثامن والعدد ٣) . هل كان يصح ويكفي ان يقول الله لآدم "واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ودون ان يحذره من مغبة المخالفة؟" بالطبع لا، الله لم يكتف فقط بهذه الوصية بل اوضح لآدم مغبة المخالفة ، " لانك يوم تأكل منها موتا تموت" (تكوين**

الإصحاح الثاني والعدد ١٨ . وعندما يأكل الانسان يسرع الله اليه قائلا انا غيّرت كلامي وغيّرت رأيي انت لن ترى الموت قط لان الموت ضد رحمتي الغير محدودة ... اذهب يا آدم لن تموت ولكن لا تكرر فعلتك الشنعاء ، هل يعقل ان يفعل الله هذا؟ هل هذا كلام منطقي وعلاج وحل ؟ لو تراجع الله في كلمته ولم يميت الانسان اذن فيكون الله غير صادق وعلى حد تعبير القديس اثناسيوس " كان امرا مرعبا لو ان الله بعدما تكلم يصير كاذبا حيث كان الله اصدر حكمه على الانسان بانه يموت موتا في حالة مخالفة الوصية.

ج – لو برأ القاضي الارضي مذنبا، لحسب هذا القاضي ذاته مذنبا في حق العدالة فما بالك بالقاضي السماوي العادل؟ هل يحطم ديان الارض كلها قانون العدالة الالهية ويبريء المذنب؟ كلاً ولكن ممكن ان يتساءل البعض ويقول ان القاضي الارضي مضطر ان يحكم بالعدل لانه مقيد بقوانين كما ان رؤسائه يراقبونه، اما الخالق فهو حر يفعل ما يشاء... نقول : نعم الخالق حر يفعل ما يشاء ، ولكنه لن يفعل الآ الحق والعدل وما يتناسب مع كماله الذاتي.

د - الصفح شيء واصلاح الطبيعة شيء اخر، فما الفائدة ان تصفح عن السارق دون علاجه من داء السرقة؟ فلو سامح الله آدم فما ادراك انه لن يكرر الخطأ بصورة او بأخرى طمعا في العفو الالهي والرحمة غير المحدودة، لو سامح الله كل من يخطيء وعفى عنه دون عقوبة لتحول العالم الى فوضى وغابة، وتضيع المهابة الالهية... وهل من العدالة الالهية ان يعامل القاتل كالمقتول والسارق كالمسروق؟ كلاً لانه بهكذا سوف تتحطم كل قيم العدالة والحكمة لدى الله وينمحي معنى الفضيلة ويتبدد رجاء البشرية في تطلعها الى اله عادل يجري احكامها في مقاصدها.

نقطة اخرى في هذا السياق لو كان الله قد غفر لآدم بدون عقوبة لاضحى الله بغير كلمة ثابتة ، وما استطاع ان يعطي شريعة او صية يلزم بها الانسان لانه بعد ان يتراجع في قوله ولا ينفذ ما سبق ان انذر به واتضح انه غير جاد فيما يقول او انه يخطيء في تقديره فهل نحن سنلتزم بطاعة وصايا اله يبذل ويتراجع في اقواله وانذاراته ام اننا سنرفض طاعة وصاياها بعد انا ضاعت هيئته وانعدمت مخافته لدى الانسان بسبب عدم ثبوت كلمته.

ممكن ان يتساءل البعض ويقول ان كان الله لم يسامح آدم فلماذا امرنا ان نسامح بعضنا بعضا؟

الحقيقة كما رأينا ان الموقف بالنسبة لله مختلف عن المواقف بالنسبة للبشر، فبالنسبة لله كان لا بد للعدل ان يأخذ مجراه حتى يحتفظ الله بهيبته امام الخليقة كلها، ولو سامح الله آدم فان ابناء آدم سيتعدون على بعضهم البعض، ويضيع الهدف الالهي من خلقه انسان يعيش في حياة البر والقداسة والسلامة، وقد صنع الله معنا اعظم عمل وقمة التسامح اذ تحمل بنفسه عقاب خطايانا... اما بالنسبة للبشر فقد اوصانا الله ان نتسامح لكيما نحفظ للمجتمع سلامه، ولا نقابل الشر بالشر

حتى لا نعطي فرصة اكبر لعدو الخير، وفيما نحن نتسامح مع المسيئين والاعداء نثق في الله ضابط الكل الذي سيجازي كل واحد بحسب اعماله. **لي النعمة انا اجازي يقول الرب (رومية والاصحاح الثاني عشر والعدد ١٩).** ولا بد ان نتطرق الى نقاط هامة في هذا السياق في ان الخطية الموجهة من انسان في حق انسان اخر بالنهاية هي خطية محدودة وقد نصفح للغير طمعا في صفح الاخرين عنا ، اما الخطية في حق الله فهي غير محدودة فالله لا يتساهل في الحق الالهي فالمغفرة ليست بالامر الهين وليست الخطية في حق الله مثل القذارة التي تلتصق بجسم الانسان فيتخلص منها بقليل من الماء، ولكن الطريق الوحيد للخلاص منها هو سفك الدم غير المحدود، ولا ننسى نقطة مهمة جدا انه ليست المشكلة فقط هي في مغفرة الخطية ولكن بالاكتر في اصلاح الطبيعة التي فسدت بالخطية. هنا اله عظيم ومتسامح ولكنه يسامح قانونيا وقانون العدالة الالهية يقتضي انه " بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين الاصحاح التاسع والعدد ٢٢) ولذلك تجسد الله وسفك دمه لكيما يرفع عقاب خطايانا.

اذن الافتراض الذي ينادي بان يسامح الله ادم وحواء والبشرية من غير عقوبة هذا افتراض غير مقبول ومرفوض ولا يحل المشكلة وبذلك يسقط هذا الافتراض كبديل للتجسد الالهي.

الافتراض الخامس: لو افترضنا مثلا ان قدم آدم توبة نصوحة بعد سقوطه الا يقبله الله ويرضى عنه؟ والّا فما لزوم التوبة للانسان؟

التوبة لا تحل مشكلة السقوط للأسباب التالية؟

أ - التوبة لا ترفع القصاص ولكنها تؤهل لنوال الرحمة .

ب- التوبة لا تلغي الحكم الصادر من فم الله ، انما تنقل هذا الحكم من الجاني الى الفدية، فعندما تاب داوود واعترف امام ناثان النبي قائلًا " لقد اخطأت الى الرب" قال له ناثان " الرب ايضا نقل عنك خطيتك فلا تموت(صم ٢ والاصحاح الثاني عشر والعدد ١٣) لقد نقل الله عقاب خطية داوود ووضعها على رأسه وهو على صليب الموت والحياة... التوبة والندامة هي الخطوة الاولى للمصالحة مع الله، ولكن يظل قصاص الخطية حتى يحمله الفادي في جسده، ونحن في توبتنا نقدم اعترافاتنا لله امام الأب الكاهن الذي حمل خطايانا ويضعها على الذبيحة وقت تقديم الاسرار المقدسة .

ج - التوبة تفيد الانسان في المستقبل حيث يمتنع عن ارتكاب الخطية وتكرارها ، ولكن ما هو الحل في الخطية التي ارتكبتها الانسان؟ هل ترفع التوبة الحكم الالهي الصادر بموت الخاطيء؟ كلاً ... وهل تنزع التوبة الخطية وتمحو الاساءة التي وجهها الانسان لله؟ كلاً ولنضرب مثلاً:

هب انك سكبت قليلا من الحبر على ثوب ابيض نقي ، ثم توقفت عن سكب المزيد ، هل يعود الثوب الى ما كان عليه من النقاء؟ كلاً ، لان الحبر قد التصق بالثوب وتخلل انسجته ولا يمكن ازالته الا بمزيل قوي لمحو اثاره، وهكذا لا يمكن محو الخطية الا بدم المسيح كقول الملاك " هؤلاء الذين اتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم في دم الخروف (رؤيا الاصحاح السابع والعدد ١٤) .

د - ان كانت التوبة لا تصلح ما مضى من اخطاء فانها ايضا لا تصلح الطبيعة الفاسدة... التوبة لا تستطيع ان توفي مطلب الله العادل لانه ان لم يظل الانسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق. والتوبة ايضا تعجز عن ان تغير طبيعة الانسان ، لان كل ما تفعله هو انها تقف حائلا بينه وبين ارتكاب الخطية، ولو كان الامر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الانسان ولم يتبعه الفساد فقد تكون التوبة كافية واما وقد علمنا ان الانسان بمجرد التعدي انحرف في تيار الفساد، الذي كان طبيعة له، وحرّم من تلك النعمة التي سبق ان اعطيت له وهي مماثلته لصورة الله... من الذي كان يستطيع ان يعيد اليه تلك النعمة، ويرده الى حالته الاولى، الآ كلمة الله الذي خلق كل شيء من العدم منذ البدء.

اذن هذا الافتراض والحل افتراض غير ناجح وغير مقبول لا يحل المشكلة وبذلك يسقط ايضا هذا الافتراض كبديل للتجسد الالهي.

الافتراض السادس: يقول البعض ان " الحسنات يذهبن السيئات" ، فان كان آدم اخطأ في واحدة، ثم صنع اعمالا حسنة وصالحة، الا تمسح هذه الاعمال الصالحة خطية آدم الوحيدة؟

لا بد هنا ان نقوم بتصحيح معلومة وهي ان العجيب ان كثيرين يتحدثون عن خطية آدم وحواء كما لو كانت خطية واحدة لا غير، بينما في حقيقة الامر ان آدم وحواء وقعا في عديد من الخطايا، خطية العصيان او المخالفة هي الخطية الواضحة للكل ولكن ترتب على هذه الخطية سلسلة من الخطايا نذكر منها المعاشرات الرديئة ووقوعهما في خطية الانقياد وخطية الشك وضعف الايمان والاستهانة وعدم مخافة الرب وخطية الشهوة وخطية الكبرياء وخطية طلب المعرفة من غير الله الخ... ، وبالعودة الى الافتراض السادس في أن الحسنات يذهبن السيئات وافتراضية ان آدم وحواء بالرغم من اخطائهما المتعددة فانه من الطبيعي والممكن انها قاما باعمال حسنة في فترة حياتهما على الارض افلا تمسح هذه الاعمال الصالحة خطاياهم السابقة؟

هذا الافتراض ايضا لا يصلح للأسباب التالية:

أ – الاعمال الصالحة ليست تفضل من الانسان بل هي واجب عليه، ولذلك قال مخلصنا الصالح "متى فعلتم كل ما امرتم به فقولوا اننا عبيد بظالون. لانه انما عملنا ما كان يجب علينا (لوقا الاصحاح السابع عشر والعدد ١٠) وقال معلمنا يعقوب : " فمن يعرف ان يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له" (يعقوب الاصحاح الرابع والعدد ١٧) .

ب – كل اموالنا وممتلكاتنا هي من الله، وكل ما نفعله اننا نرد جزء مما له كقول داوود النبي " لان منك الجميع ومن يدك اعطيناك" (اخبار الايام الاولى الاصحاح التاسع والعشرون والعدد ١٤) .
اذا اي فضل لنا في هذا؟

ج – كل اعمالنا الصالحة التي تنال اعجابنا واعجاب الآخرين قد تبدو امام الله غير كاملة، لانه ان كانت السماء غير ظاهرة امامه، والى ملائكته ينسب حماقة (ايوب الاصحاح الرابع والعدد ١٨) فكم وكم اعمالنا الصالحة.

د – لا بد ان نعود ونذكر ان الخطية هنا موجهة ضد شخص الله فعلى سبيل المثال خادما اخطأ في حق ملك عظيم، ثم ادرك هذا الخادم خطأه والخطورة التي تحيط به، فاسرع وجمع كل ما لديه وقدم هدية لهذا الملك الغني، فهل مثل هذه الهدية التافهة تمسح خطأ الخادم؟ كلاً ...

ر - لو كانت الحسنات يذهبن السيئات معنى هذا ان الانسان يملك في يده المغفرة الالهية لاي خطية يرتكبها... بمعنى ان الانسان يستطيع ان يزني مثلاً ومن ثم يمسحها بالتصدق على الفقراء، ويقف امام الله وكأنه انسان طاهر بينما هو مملوء نجاسة وشر، هل هذا منطوق؟ او على سبيل المثال شخص يتاجر في المخدرات ومن ثم يقوم ببناء بعض دور العبادة ويقف امام الله وكأنه انسان بار بينما يده مملوءتان بالضحايا... هل هذا امر مقبول؟

عندما يكون الهدف من اعمال الخير هو الحصول على مغفرة الخطايا فان العملية تتحول الى عملية تجارية ، ولكل خطية ثمنها الذي يسدده الانسان وينام هادىء الببال مستقر الفؤاد بينما هو في الحقيقة مقيدا بسلاسل الظلام منقادا الى جهنم ... فأى خطورة هذه؟

ممكن ان يتساءل البعض الا تغفر الصلاة الخطايا؟ قطعاً لا، لانه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، بل ان صلاة الخطاة هي مكرهه للرب: " اناكم صارة فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت

وجهه عنكم حتى لا يسمع (اشعياء الاصحاح التاسع والخمسون والعدد ٢) وقال الله للخطاة " حين تبسطون ايديكم استر عيني عنكم وان كثرت الصلاة لا اسمع. ايديكم ملآنة دما" (اشعياء الاصحاح الاول والعدد ١٥).

اذن افتراض ان الحسنات يذهبن السيئات افتراض وحل غير ناجح وغير مقبول لحل المشكلة وبذلك يسقط هذا الافتراض كبديل للتجسد الالهي .

الافتراض السابع: فليقدم آدم ذبيحة فداء عن نفسه ، وليقدم ذبيحة اخرى فداء عن حواء... الا تكفر الذبائح عن الخطايا؟ وان كانت لا تكفر فلماذا اوصى الله بها اذن في العهد القديم؟

ان الله اوصى بتقديم الذبائح الحيوانية لانها تشير وترمز لذبيحة الصليب، واخذت قوتها على المغفرة من ارتباطها بذبيحة الصليب، فالانسان الذي كان يخطيء كان يقدم ذبيحة بحسب خطيته وبحسب رتبته، ويقر ويعترف بخطايه فينال وعدا بالمغفرة على حساب الذبيحة المستقبلية كما ننال نحن المغفرة على حساب الذبيحة الماضية، لان ذبيحة الصليب غير محدودة بمكان او زمان، فهي ممتدة عبر الزمن تكفي الكل من آدم حتى اخر انسان تانب قبل المجيء الثاني. وايضا اوصى الله بها حتى عندما يرى الانسان الحيوان البريء يذبح عوضا عنه فيسفك دمه وتشتعل فيه نيران العدل، فان منظر الدم والنار يحركان القلب والضمير فيشمنز الانسان من خطايه التي فعلت بالحيوان البريء كل هذا. ونتطرق الى سؤال هنا في سياق الموضوع هل تكفي الذبائح الحيوانية لفداء الانسان؟ وهل تصلح هذه الحيوانات ان تكون وسيطا بين الله والانسان؟ هل تتوافر فيها صفات الفادي التي سنقوم بذكرها لاحقا؟ هل يمكن لدم ثيران وتيوس ان يرفع الخطايا؟

للاجابة على هذا السؤال لا بد ان نقول ان تكرار الذبائح هو اكبر دليل على قصورها وعجزها عن حل مشكلة سقوط الانسان بالاضافة الى ان الحيوان لا يحمل طبيعة الانسان وان الحيوان يقاد للذبح قسرا وهو محدود وليس اقوى من الموت لذلك قال الكتاب " لا يمكن ان دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (عبرانيين الاصحاح العاشر والعدد ٤).

اذن الذبائح الحيوانية لا تعتبر حل جذري لمشكلة سقوط الانسان لانه لا تتوافر فيها الصفات اللازمة والتي يجب ان تتوفر في الفادي. ما هي هذه الصفات ؟

بما انه قد اعترفنا واقرينا بمبدأ الفداء اذا يستحسن ان نتعرف على اهم صفات الفادي وهي ان يكون الفادي:

أ - **انسان:** لان الانسان هو الذي اخطأ، ولا يوجد كائن اخر نظير الانسان ومثيله، ولذلك يجب ان يكون الفادي انسانا حتى يكون من نفس طبيعة المفدي، وقد سبق الكتاب المقدس و اشار للفادي الذي سيسحق رأس الحية انه من نسل المرأة ... اذن النائب عن الانسان لا بد ان يكون انسانا، وهذا ما حدث في التجسد الالهي اذ اتخذ الله الكلمة طبيعتنا البشرية كاملة جسدا وروحا " **فاذ قد تشارك الاولاد في اللحم والدم اشترك هو ايضا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت ايّ ابليس** " (عبرانيين الاصحاح الثاني والعدد ١٤) . وقال لتلاميذه بعد القيامة " **انظروا يديّ ورجليّ اناي انا هو . جسّوني وانظروا فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي** " (لوقا الاصحاح الرابع والعشرين والعدد ٣٩) .

ب - **ان يكون الفادي بلا خطية:** لا يكفي ان يكون الفادي انسانا ، ولكن لا بد ان يكون بلا خطية ليحمل عقاب خطايا الآخرين ... يكون بلاخطية شخصية، وخالي تماما من الخطية الجديّة المتوارثة عن آدم، لان الخاطيء لا يفدي خاطئا والمفلس لا يفدي دين مفلس اخر والمحكوم عليه بالاعدام لا يقدر ان يفدي انسانا اخر محكوما عليه بالاعدام.. حقا ان فاقد الشيء لا يعطيه، وقد تمسكت طقوس العهد القديم باختيار الذبيحة بلا عيب داخلي ولا خارجي كرمز و اشارة الى الفادي الذي بلا عيب.

ولانه لم يفلت انسان واحد من الخطية الجديّة لذلك تجسد الله الكلمة من مريم العذراء بدون زرع بشر، بعيدا عن الخطية الجديّة ، لان الروح القدس حلّ على العذراء القديسة مريم وقَدّس مستودعها، ولذلك فالمولود منها قدوس كقول جبرائيل الملاك " **القدوس المولود منك يدعى ابن الله** (لوقا الاصحاح الاول والعدد ٣٧) ولا يكفي ان يكون الفادي انسانا خاليا من الخطية مثلما كان آدم قبل السقوط ثم تعرّض للسقوط ، انما يجب ان يثبت بالدليل القاطع انه معصوم من الخطأ ، وهذا ما تشهد به حياة السيد المسيح على الارض الذي تحدّى وقال " **من منكم يبكتني على خطية** (يوحنا الاصحاح الثامن والعدد ٤٦) وقال عنه الكتاب " **قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة** " (عبرانيين الاصحاح السابع والعدد ٢٦).

ج - **ان يقدم الفادي نفسه بارادته وليس قسرا:** عن حب وسرور وليس عن قسر واضطرار او كمن يساق الى غرفة الاعدام رغما عنه، ولا يكفي ان يكون الفادي انسانا مخلوقا وبلا خطية ، لان المخلوق لا يملك نفسه لكيما يقدمها فدية عن الآخرين، بل يجب ان يكون انسانا بلا خطية يملك نفسه اي هو الله المتأنس الذي قال " **لاني اضع نفسي لأخذها ايضا ليس احدا يأخذها مني بل اضعها انا من ذاتي. لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها** " (يوحنا الاصحاح العاشر والاعداد ١٧ و١٨).

د - **ان يكون قابلا للموت:** لان الحكم الالهي ضد آدم كان بالموت، ولان اجرة الخطية موت، ولذلك تجسد كلمة الله ليتخذ لنفسه جسدا قابلا للموت يستطيع ان يقدمه فداء عن الانسان...

ر - ان يكون الفادي اقوى من الموت: حتى اذا قدّم نفسه بارادته يستطيع ان ينتصر على الموت وينهض من رقاده، ويقدر ان يهزم ابليس الذي هزم البشرية ، ويخلص الاسرى من يد الجبار، ولذلك يجب ان يكون الفادي والمخلص قويا في قدرته وحكمته وخبرته ولانه لا يوجد انسان على وجه الارض يمتلك مثل هذا الصفات فكان لا بد ان يتأنس الله نفسه.

و - ان يكون الفادي غير محدود: لان الخطية الموجهة ضد الله غير المحدود هي خطية غير محدودة، فلزم ان يكون الفادي غير محدود، لقد تجسد الغير محدود ليرفع عقاب خطية غير محدودة. بل ليرفع خطايا العالم كله في كل زمان ومكان.

وبما ان جميع هذه الصفات ينبغي ان تتوفر للفادي حتى يستطيع ان يفدي البشرية والتي من الطبيعي انها لا تتوفر في حيوان ومن الاستحالة ان تتوفر ايضا في اي انسان فكان لا بد من حتمية التجسد الالهي ففيه تحققت صفات الفادي كاملة ، بناسوته صار انسانا ، وقابلا للموت، وبلا خطية. وبلاهوته هو الخالق الذي يستطيع ان يقدم نفسه بارادته وليس قسرا او رغما عنه، وهو اقوى من الموت وغير محدود.

والخلاصة نقول ان الله قادر على كل شيء والتجسد الالهي ليس بالامر المستحيل على الله وحقيقة الامر ان البعض الذين يرفضون فكرة التجسد الالهي او يستنكرونها ويجدونها لا تليق في الاله كلي العظمة والمقدرة فانهم يصفون على الله صفة العجز وعدم قدرته على فعل ما يشاء وحاشا لالهنا ان يكون الهها عاجزا فالتجسد هو عمل من اعمال المقدرة والتي تتلاءم مع صفات الله كلي القدرة وكلي العدل وكلي الرحمة وكل القداسة وكلي المحبة اذن فهو داخل في قدرة الله . التجسد لم يغير طبيعة الله، لان الاتحاد بين اللاهوت والانسوت كان بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير فلم يتحول اللاهوت الى ناسوت ولا الناسوت الى لاهوت، ولكن في اتحادهما معا ونتيجة لهذا الاتحاد كان شخص السيد المسيح الاله الكلمة المتجسد فلا يوجد اذن اي بديل عن التجسد الالهي.

انتهى

المراجع

الكتاب المقدس

كتاب اسئلة حول حتمية التثليث والتوحيد وحتمية التجسد الالهي مراجعة
وتقديم نيافة الانبا تاوضروس

شخصيات الكتاب المقدس لقداسة البابا شنودة الثالث

مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الارثوذكسية